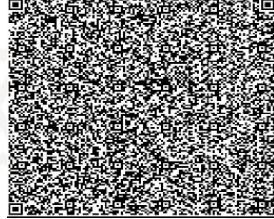




العدد: 2752/2020
التاريخ: 2020/9/7

(عضو مجلس تنفيذي في رابطة الجامعات الإسلامية)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

م/الأدوار الجديدة التي يجب أن تضطلع بها الجامعات في ظل أزمة كورونا

قال تعالى في محكم كتابه العزيز : ((إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) وقال رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : ((إِنَّ النِّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَالْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))....

الجامعات هي النموذج الذي يحتذى به ، بوصفها مؤسساتٍ تعليميةً تربويةً أكاديمية تعتمد على البلدان ؛ كي تنهض من طريقها في البناء والتقدم بعدما كانت منذ نشأة الإسلام حيث أشرق في الأرض، وأسطفى الله محمداً رسولاً للإنسانية ، ودخل الناس في دين الله . وكان بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وبيوت الصحابة عليهم السلام والمسجد أول المدارس في تاريخ الإسلام. وعندما فتح العرب مشارق الأرض ومغاربها ازدهر التعليم في الولايات والأقطار ، فاتخذ المسلمون المساجد والجامعات والمجالس ، والكتاتيب ، وخزائن الحكمة ودور العلم، والمدارس، والزوايا والتكايا، والدور والقصور، والبلاطات والدواوين، والمشاهد والمرقد وحتى ظهرت لنا جامعة زيتونة وجامعة الأزهر والجامعة المستنصرية والمدرسة النظامية وهكذا تطورت المدارس الإسلامية الأخرى في شتى بقاع الإسلام ، فأصبحت أهم مواطن التعليم ، وأظهر مواضع التعلم، وأشهر أمكنة التدريس والدراسة والتلقين والتلقي والمدارس والتدريس . وتطورت تلك الأماكن حتى صار بعضها في العصر الحديث جامعات يشاهد لها بالعلم والمعرفة والتاريخ المشرق وتجتمع مختلف العلوم والفنون فيها . ولعل تقاليد الجامعات في بداية نشأتها تتصل بأصول التعليم والعلم ، وطرائق التدريس والتلقي والتلقين والبحث مثلما هي المدارس الماثورة قديماً . ثم تطورت بفعل تلاحق الثقافات لاسيما في العصر الحديث بعد البعثات والتطور والتكنولوجيا والتعليم الإلكتروني ؛ لتواكب ثقافة وذوق العصر فابتدأت بالعلوم الإنسانية ، ثم العلوم الطبية والهندسية والتطبيقية بعد الاحتكاك بالعالم المتقدم.





وقد لعبت المؤسسات الأكاديمية الجامعية دوراً كبيراً في بناء المجتمعات الإسلامية في التربية والأخلاق والعلوم المتنوعة ، إذ أكدت الأنظمة التربوية الحديثة على الاهتمام بالإنسان في ضوء المناهج المرسومة لبنائه بناءً كلياً متكاملًا من طريق السعي ؛ لتنمية شخصيته من جميع الجوانب وذلك بتربيته على وفق الإرث الحضاري الإسلامي ، وهي مستمرة في ذلك معرفياً ونفسياً واجتماعياً وأخلاقياً بما يجعل منه إنساناً صالحاً نافعاً منتجاً في المجتمع الذي يعيش فيه . ولما كانت الجامعات والمعاهد والمراكز التابعة لها من أبرز المؤسسات الاجتماعية والأكاديمية وأهمها ، فهي تتسم بخصائص ومميزات تمنحها القدرة على أن تكون متصدية لبناء المجتمعات الإنسانية والتي يعمل فيها أصحاب العقول المميزة ، كذلك تمثل واجهة البلدان في علاقاتها مع البلدان الأخرى علمياً وثقافياً واجتماعياً في ضوء ما تمتلكه المجتمعات من موروثات حضارية وعلمية وثقافية . إن اضطلاع الجامعات في أخذ دورها من أجل تقدم بلدانها ، وهي تسعى دوماً إلى التقدم قبل الجائحة وبعدها ، ولا بد من استقراء مسيرتها في المدينين ما قبل وما بعد الجائحة . وبعدها تبوّأت الجامعات مكان الصدارة من بين جميع مؤسسات البلدان في خدمة المجتمع وصارت أهم مراكز الإشعاع العلمي الذي يتصدر بناء الإنسان وخير موجه لصنع الحضارات ولها دور مميز في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلى وفق أسس علمية وخبرات عالية ، كما أنها تسهم في إعداد طاقات هائلة من القوى البشرية لتنمية البلد كان لها مناهجها الرامية في تحقيق أهدافها ، فكانت وسائلها بذلك نمطية ، إذ استمرت لأجيال تعمل على التلقين والدروس المباشرة من خلال حضور الطلبة يجمعهم صفّاً واحد على الرغم من أنها تواكب حركة التقدم والتطور في المناهج شأنها شأن التقدم والتسارع الكوني في تمدد جزئياته ، ومثلما تتطور عقلية الإنسان . إنّ التحول الكبير في صياغة طرق ومناهج الدراسة بعد اجتياح كوفيد 19 (كورونا) للعالم ، بيد أنّ الحياة لم تتوقف في معظم البلدان وإن أغلقت الكثير منها جامعاتها ومعاهدها ومدارسها ، لكن العقل المستبصر أثر إلا أن يضطلع وبأساليب متعددة ، فهو المبتكر لوسائل التواصل عن بعد أدرك أنّ وسيلة الاستمرار الجاد في بث العلوم والمعارف من طريقها ، فأتاحت البرامج عبر الوسائل الإلكترونية ، وقد ذكر تقرير لـ "اليونسكو" أن "انتشار الفيروس سجل رقماً قياسياً للأطفال والشباب الذي انقطعوا عن الذهاب إلى المدرسة أو الجامعة. وحتى تاريخ 12 مارس، أعلن 61 بلداً في أفريقيا وآسيا وأوروبا والشرق الأوسط وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية عن إغلاق المدارس والجامعات، أو قام بتنفيذ الإغلاق؛ إذ أغلق عدد كبير من البلاد المدارس والجامعات ؛ لمنع انتشار الفيروس أو لاحتوائه. وإذا ما لجأت هذه البلدان إلى إغلاق المدارس والجامعات على الصعيد الوطني، فسيضطرب تعليم أكثر من 500 مليون طفل وشاب آخرين على وفق المنظمة. "

لذا على جامعاتنا أن لا تقف مكتوفة الأيدي وإن فعلت دور الانترنت واستعملت برامج متنوعة للسير قدماً بالعملية العلمية والتربوية ؛ لأن الحياة لا تتوقف ونحن المسلمين نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبداً ، ومثلما هي قصة الشيخ يوسف بن أبي بكر الملقب بالسكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم الذي كان يعمل حداداً ، فآثر إلا أن يكون



عالمًا ، لكنه وبعد جهد جهيد وما ناله من الصعوبات والمعوقات الكثيرة يئس من نفسه وضاق خلقه فخرج إلى البراري والجبال ، فاتَّفَقَ أنه كان يتردد يوماً في شِعَبِ الجبال ، إذ وَقَعَ نظره على قليل من الماء يتقاطر من فوقه على صخرةٍ صَمَاءَ ، وقد ظهر فيه ثقبه من أثر التقاطر فاعتبرَ بذلك وقال : ليس بقلبك أفسى من هذه الصخرة ، ولا خاطرك بأصلبٍ منها حتى لا يتأثر بالتحصيل ، فصمَّم في أمر الدرس حتى فتح الله عليه أبواب العلم والمعارف ، وحاز على قصب السبق على كثير من الأماثل والأقران من العظماء والأعيان ولعلنا مثلما اجتاح وباء كورونا المستجد حواجز الزمان والمكان، علت الأصوات الحريصة على البناء لتنادي "بالتعلم عن بعد" التي صاحبت انتشار الفيروس- لتجتاح هي الأخرى حواجز المكان والزمان بإرادة فاعلة . أجل كان اجتياحاً مكانياً جعل من غياب الحواجز المكانية الثابتة مثاراً للارتقاء إلى عوالم مختلفة من طريق شبكات الإنترنت الفسيحة، واجتياح زمني امتلك أدوات التخلص من روتين الذهاب والإياب ومزاحمة الآخرين بحثاً عن سرعة الوصول إلى أحياز مكانية ربما كان أضيق ؛ مما تحتمله رحابة العقول . ولعل اضطلاع الجامعات في أخذ أدوارها في تجاوز المرحلة أو التعايش معها ولما لدينا من الوسائل والموارد منها السمعية والبصرية والرسوم التوضيحية والصور المتحركة، والمونتاجات السينمائية والتي يمكنها أن تحوّل التعليم عن بعد من أسلوب "التلقين" إلى الأسلوب "التفاعلي" المصحوب بالمؤثرات لاسيما البصرية منها والسمعية، والتي تجعل من العملية التعليمية "الجامدة" إلى طرائق أكثر جذباً، كونها تساعد الطلاب على الدخول إلى المحتوى دون التوقف عند عتبات الأوراق، وعلى الجامعات أن تنهض بالموارد التعليمية الرقمية وإن كانت تعمل بعض الجامعات بتلك التقنيات قبل الجائحة لكن لا بد من عبور المرحلة والتعايش معها على مستوى العالم ، ومن تلك الأدوار هو:

1- القيام بتطوير مناهج ابتكارية وبرامج دراسية ومسارات تعليمية بديلة وطرق التعليم العالي، وكل ذلك يمكن تيسيره عبر الإنترنت والتعليم عن بُعد والدورات القصيرة القائمة على المهارات. كذلك تطبيق برامج "بلاك بورد (BlackBoard)" ، وكوكل كلاس روم (Google Classroom) ومنصات "إدمودو (Edmodo)" (وهي تطبيقات تعتمد على تصميم المقررات والمهام والواجبات والاختبارات وتصحيحها إلكترونياً، والتواصل مع الطلاب من خلال بيئة افتراضية وتطبيقات يتم تحميلها عن طريق الهواتف الذكية. ولا بد من توفير هذه المنصات مجاناً للطلبة والمتعلمين في بيئة آمنة من أجل التعاون في الاتصال وتبادل المحتوى التعليمي وتطبيقاته الرقمية إضافة إلى جميع الواجبات المنزلية والدرجات والمناقشات. وتطبيق "إدراك"، المعني بتعليم اللغة العربية عبر الإنترنت، كذلك تطبيق برامج "سي سوسو (seesaw)" ، وهو تطبيق رقمي يساعد الطلاب على توثيق ما يتعلمونه في المدرسة وتقاسمه مع المعلمين وأولياء الأمور وزملاء الدراسة، وحتى في العالم، وتطبيق Mindspark ، الذي يعتمد على نظام تعليمي تكيفي عبر الإنترنت، يساعد الطلاب على ممارسة الرياضيات وتعلمها . والجامعات والمؤسسات التعليمية بوصفها مؤسسات حضارية عالية التركيز والمهارة المعرفية ، فضلا عن التطرق إلى مفهوم النموذج الحضاري الإسلامي ، فلا بد من



خلق الدافع ؛ لبناء أنموذج حضاري إسلامي من خلال وضع التخطيط الاستراتيجي المتكامل وحشد الطاقات البشرية والمادية على اختلاف مستوياتها. والتأكيد على دور مراكز الأبحاث في بناء هذا النموذج الذي يُعد دوراً مكملًا لمؤسسات صنع القرار الرسمية ، والمؤسسات الدينية سواء أكانت تقليدية أم أكاديمية فهي بمثابة الأمة المتقدمة والراجحة في فكرها السماوي ، لا بد أن يزاحم في التعلم ويتصدى للأفكار الجديدة التي تحاول العولمة تعميمها على العالم واختطاط مناهج من صلب تراثنا الإسلامي القويم ، ليعم العالم عبر منصات التي تغطي فضاءه.

2- الاهتمام بتوظيف التعلم التفاعلي الذي يزيد انتباه الطلبة وذلك بإشراكهم المباشر كمساهمين لا كمتلقين، مما يضيف لديهم عامل التحفيز وسيحقق نتائج أفضل. وهنا يأتي دور المعلم في تحديد الوسائل التفاعلية المناسبة لكل هدف؛ فعملية إشراك الطلبة الموجودين في أماكن مختلفة، والمحافظة على انتباههم عبر الأجهزة، ليست بالأمر اليسير ولكنها بالتأكيد ليست مستحيلة . وهنا لا بد للمعلم من أن يعرف أوضاع طلابه جميعاً ؛ ليختار الطرق الأجدى نفعاً للمجموع؛ فمثلاً إذا كانت المشكلة تتعلق بعدم توفر حُزْم كافية لدى الطلبة، يمكن تدبير الأمور من خلال الوازع الاقتصادي الذي لا بد للمعلم تدبير ذلك.

3- تغطية الاحتياجات وأنماط التعلم المختلفة : إن مراعاة تنوع أنماط التعلم هي جزء من عناصر التخطيط لعملية تعليمية ناجحة ؛ فهناك -حسب نموذج (VARK) لفليمنج وميلز- أربعة أنماط أساسية في التعلم: منها السمعي (Auditory Learners) ، والبصري (Visual Learners) ، والحركي (Kinesthetic Learners) ، ونمط التعلم بالقراءة والكتابة (Read and Write Learners) و جميعها تتعامل مع حياة جديدة لعالم في ظل الجائحة التي جعلت من النظام التعليمي أن يأخذ مديات من أجل اجتياز الظروف وإن امتد لمدة طويلة ، فلا بد من التعايش واستقراء التطورات المستقبلية ؛ كي تساير ظروف الواقع المعاش.

4- مصطلح "جيل بيبي بومرز (Baby Boomers Gen) "الذي أطلق على الفئات العمرية ما بين عامي 1944 و1964، ولعل الجاهزية لاستخدام التكنولوجيا الحديثة في عملية التعلم، تكون عسيرة عليهم هذا ليس انتقاصاً منهم ، ولكنه واقع فرضه الاكتشاف المتأخر لكثير من أجهزة التكنولوجيا والتطبيقات . ولا بد للجامعات أن توفر لهم الكيفية التي تجعل منهم قادرين على امتثال هذا العالم والتعايش معه ؛ لإيجاد طرق مبتكرة يمكنها أن توفر لهم السبل اللازمة لذلك.

5- نتوخى من الجامعات أن توحد منهجياتها وتكنولوجياتها من أجل دفع عجلة التقدم العلمي في اختزال الزمن وأنّ التعاون بين الجامعات هو خير مآمل للانفتاح العالمي على العلوم والمعارف التي هي بمنأى عن بعض الجامعات قبل كورونا . واليوم أصبح العالم ليس قرية صغيرة بفضل الأنترنت ، أما صار في جهاز صغير يوضع في جيب حامله.



6- التعليم المدمج (Blended Learning) وهو يكون مشترك بين تعليم الالكتروني للتخصصات الانسانية وتعليم الكتروني و حضوري للتخصصات الطبية والهندسية والتقنية وغيرها من التخصصات التي تحتاج الى ورش و معامل و مختبرات وتطبيق...

وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم.

د/ طالب زيدان الموسوي

- عضو مجلس تنفيذي في رابطة الجامعات الإسلامية

- عضو المكتب الاقليمي للرابطة في العراق واسيا الوسطى والقوقاز

- رئيس مجلس ادارة رابطة الجامعات والكليات الاهلية العراقية

- رئيس مجلس ادارة كلية الكوت الجامعة

- العراق